تجاوب الإسلام
مع فطرة الإنسان

للأستاذ محمود محمد عماره
المدرس بمعهد دسوق الدينى

الإنسان كائن حى . . ومعنى كونه حيا . . أن له وجودا يلمسه ويحس به وهذا الوجود يتطلب منه عملا دائبا . وسعيا حثيثا . . تثبيت دعائمه . . وسد حاجاته .

فما دامت هناك انفاس تتردد فى صدر الإنسان . . فهو آمل عامل .

والنتيجة :

أن الميل إلى العمل اتجاه فطرى فى كيان الانسان . . ورغبة طبيعية تحتاج دائما إلى إشباع .

وحيث كانت الرغبة فى العمل متأصلة عند الانسان . . نجد الاسلام يتجه به اتجاها ينمى عنده هذه النزعة . .

فطلب منه أن يمارس مختلف الألعاب الرياضية . كالسباحة والرماية وركوب الخيل . وكل عمل من شأنه أن يدعم كيانه ، ويشغل وقتـــه بالصالح من الأعمال . بدل أن يصرف طاقاته فى مجالات أخرى تضر بالمجتمع .

وإذا ما انطلقنا بفكرنا نتملى آيات الكتاب الكريم . سندرك إلى أى مدى استجاب الاســلام لهذه النزعة الانسانية :

اقرأ قوله تعالى :

« وهزى إليك بجذع النخلة تساقط عليك رطبا جنيا » لقد كان من الممكن أن يتدخل القدر الأعلى فيعفيها من أى مجهود تنفقه . . ويساقط عليها الجنى شهيا .. ولكنه ساوق منطق الفطرة .. فأصـــدر أمره إليها بأن تدفع الثمن :

فتهزه أولا .. فيأتيها الثمر ثانيا !

ألم تر أن الله قال لمريم وهزى إليك الجذع يساقط الرطب

ولو شاء أن تجنيه من غير هزه جنته .. ولكن كل شىء له سبب

يقول العلامة الشيخ محمد المدنى :

« ولما كان فراغ النفس محالا .. حرص علماء النفس وحذاق المربين على أن يشغلوا الشباب بالأعمال الهادفة وألا يتركوهم بحكم هذه الفطرة إلى الأعمال الهازلة أو التافهة أو الفاسدة كما حرصوا على أن يملأوا القلوب بالعقائد الصحيحة . والمبادىء السليمة والمثل القويمة . . لئلا يندفعوا إلى ما يناقض ذلك .

فان الذى لا يؤمن لا بد أن يجحد

والذى لا يمتلىء قلبه بالفضيلة . . لايلبث أن يقع فى مهاوى الرذيلة . . والذى لا يسير فى الطريق المستقيم . . لابد أن يسير فى طريق الضلال أو الفساد .

إلى أن يقول :

وفى القرآن الكريم آيات يفهم منها هذا الذى نظرناه : فالله سبحانه وتعالى يقول : « فذالكم الله ربكم الحق فماذا بعد الحق إلا الضلال فأنى تصرفون »

وذلك واضح فى أنه لا واسطه . . وأن من انصرف عن الحق عامدا أو غير عامد .. فقد وقع فى الضلال معذورا أو غير معذور »

وعند هذا الحد . . يجرنا الحديث إلى قوم لهم نظرة خاصة - وفهم معين للاسلام ، فهربوا فى شعاب الجبال ، فراراً من الحياة ومغارمها ولم يحاولوا أن يحملوا الفأس . استنباتا للزرع . . أو يشرعوا السيف دفاعا عن الدين

إن الله سبحانه وتعالى لا يرضيه من عبده أن يختبىء فى مغارة أو مدخل . بعيداً عن ميادين النشاط .

لأن فى هذا تعطيلا لملكاته . . وحكما عليها بالاعدام . .

بل يريده كالنحلة ، تقضى نهارها هائمة حائمه .. تمتص رحيق الأزهار ثم تقدمها للناس شرابا طهورا .

أو كدودة القز . تجاهد وتكافح فتنسج ثوبها . حتى ولو دفعت فى سبيل ذلك حياتها ! !

روى أن الله تعالى أوحى إلى نبى من أنبيائه .

أن قل لفلان الزاهد . أمازهدك فى الدنيا . . فقد تعجلت به الراحة . . وأما انقطاعك إلى . . فقد اكتسبت به العز .

ولكن ماذا عملت فيما لى عليك ؟

فقال يارب : وأى شىء لك على ؟

فقال : هل واليت فى ولياً أو عاديت فى عدوا ؟ نعم . ففى الفضاء الكبير أعداء لله يوجهون السهام المسمومة إلى دينه الذى ارتضى .

فهل حاولت أن ترد عن هذا الدين سهما ؟

هناك رجل يقول إن الدين خرافة ، وثان يقرر أن الصلاة والحج طقوس استنفذت أغراضها . وثالث يصيح : يجب على الدين أن يتخلى عن مكان الصدارة . ويعطى الزمام للعلم .

ماذا عملت إزاء هؤلاء جميعا ؟

هناك بذور تريد ان تنشق عن برعم غض طرى .

ومواد كيمارية تنتظر العقل الذكى ليصوغ منها مستقبل الأمة ومجدها .

وهناك أطفال صغار ، بل ورجال كبار . تتخطفهم مدارس التبشير من كل جانب ، وهم فى حاجة إلى منقذ وافـــد ؟

هل كنت واحدا من هؤلاء ؟ !

إذن لم خلق الله لك : لسانا ، وشفتين وهداك النجدين ، لكى تقتحم العقبة !

فهل اقتحمتها ؟ !

لا ! !

إنك تجلس من شجرة الاسلام على غصن عال فيها .. بعيداً عن الحياة . بعيداً عن الأحياء .. وتركت أعداء الله كالسوس ينخر فى ساقها ، ويمتص منها عصارة الحياة .

وغدا .. إذا لم تفق من نومك — ستهوى بك الشجرة .. وأنفك يعلوه الرغام ! !

وما أجمل ما جاء فى الأثر :

إن الله سبحانه وتعالى أوحى إلى ملك من الملائكة أن أخسف بقرية كذا وكذا .

فقال يارب : وكيف وفيها فلان العابد .

فيقـــول : به فابدأ فانه لم يتمعر وجهه فى قط ! ! ولكن الانسان فى عمله ونشاطه مع موكب الأحياء .. عرضة للخطأ من حيث هو إنسان .. والانسان على عكس بعض المذاهب يدخل فى حسابه هذا الاعتبار . فاذا ما عمل ، فأخطأ ، فتاب ، قبلت توبته وأقيلت عثرته ، وعاد كيوم ولدته أمه .. ويجب أن يفهم بعض المتعصبين هذا المعنى جيدا فيتلمسوا الأعذار للناس . حتى لا يضروا الدين ، من حيث أرادوا له نفعا ! والمذنب — غير المستهتر طبعا — كالغريق دارت به غوارب المـــوج . . بين تصعيد وتصويب ..

هل يجوز لك أن تنفر منه لأنه لو قعد فى بيته ماحدث له ذلك ؟ ! لا . يجب عليك أن تســـارع فتنقذه ما استطعت . .

يجب أن يكون موقفك كريما إزاء إنسان ارتكب خطيئة أو إثما كن رذاذا رطبا يذوب تحته ما اقترفه من إثم ، فتكسب الجولة ! لأنك إن قسوت عليه فى الأسلوب خسرت صداقته ، ولم تبلغ ما تريد ، وكنت كالمنبت : لا أرضا قطع ولا ظهرا أبقى !

وأنت حينئذ فى قائمة الذين لا يأمرون بمعروف ولا ينهون عن منكر !

وإن تعجب فعجب أن ترى إنسانا أشاح بوجهه عنك لأنك أخطأت مرة وكان هـــذا النفور هو كل بضاعته فى محاربة الآثمين ..

وهذا قرار قبيح من طريق الجهاد

فى سبيل الله ..

إن الذين يريدون من الإنسان أن يكون ملاكا يمشى على الأرض ، فئة عقلها فى اجازة . مستهم ريح الغفلة ، فعاشوا فى أكنافها سكارى .

فالمرء غير محكوم بالعقل وحده . ولكنه أيضا محكوم بقوة الشهوة ، وقوة الغضب . ولذلك يقع فى الخطأ ولو كان عالما يتصدى للوعظ والإرشاد !

وما أجمل قول ابن عطاء الله :

« ليس الشأن ألا تذنب ، ولكن الشأن ألا تقيم على الذنب ، إن أنين المذنبين أحب إلى الله من زجل المسبحين .

رب معصية أورثت ذلا وانكسارا خير من طاعة أورثت عزا واستكبارا »

إن الناس لا يمدحون « زيدا » من الناس لأنه رجل طاهر الذيل لم يرتكب فى حياته إثما .

ولكن مرجع المدح عندهم هو محاولة الإنسان دائما أن يتخلص من زلاته ؛ بحيث لا يستكين لها ، ولا يركن إليها . بل يجاهد فى انتشال قدميه من بين أوحال الخطيئة ليقف على أرض صلبة !

ومتعلق الذم أن يخلوا المرء من تلك الروع المتوثبة ، التى تجعل المرء صامدا بعيدا عن البأس . ومايطبع فى نفس الانسان من عقد تصبغ حياته بلون قاتم .

ومن هنا كان الشارع الحكيم يقظا عندما افترض فى الانسان أنه بشر يخطىء ويصيب ، فقرر أن كل بنى آدم خطاؤون وخير الخطائين التوابون .

على عكس ماذهبت إليه مدرسة أفلاطون من أن المفروض فى البشر هو العصمة من الخطأ .

وهذا حاجز قاسى فى طريق الطبيعة الانسانية ، لأن الذين لا يعرفون إلى الخطأ سبيلا ، إنما هم الموتى فى ظلام القبور !

وهذه لمحة من اللمحات المضيئة — لأستاذنا الدكتور عبد الحليم محمود سمعتها منه بالأمس القريب فى كلية أصول الدين ، فقلت لفت أنظارنا إلى قوله تعالى :

« قل لو كان فى الأرض ملائكة يمشون مطمئنين لنزلنا عليهم من السماء ملكا رسولا »

فالملائكة مع مافى قلوبهم من أشواق وما فى أرواحهم من إشراق ، مع أن الشهوة العارمة نزعت من أرض نفوسهم فاستراحوا من أوضارها .

إلا أنهم لو قدر لهم أن يمارسوا الحياة على ظهر هذه الأرض ، لكان لابد لهم من زلة !

مولد العارف بالله الجنيـــد

احتفل السيد الأستاذ حسين دسوقى الجنيدى عضو مجلس الأمة السابق بمولد جده العارف بالله الجنيد ببلدته نزلة الميمون فأقيمت السرادقات وحلقات الأذكار ومدت موائد الطعام للفقراء ووزعت الصدقات.

وفى الليلة الختامية أقيمت حفلة كبرى شهدها سماحة الأستاذ السيد محمد محمود علوان شيخ مشايخ الطرق الصوفية، والأستاذ محمد حسن شمس الدين شيخ الأحمدية المرازقه، والأستاذ طه عبد الباقى سرور وفريق كبير من رجال التصوف والعلم وكبار الأعيان والوجهاء من مديريتى الفيوم وبنى سويف. وقد ألقى الأستاذ طه عبد الباقى سرور كلمة فياضة تحدث فيها عن رسالة التصوف فى تكوين المواطن الصالح والنهوض بالأمة خلقيا وروحيا وعمليا.

وقد وجه سماحة السيد محمد علوان نصائحه وإرشاداته إلى رجال الطرق الصوفية فى ضرورة المحافظة على جلال هذه المناسبات الدينية الكبرى ومراعاة آداب الطريق وواجباته وقد استقبل سماحته وودع بالتحية والحب والتقدير.

وبالتالى جاءتهم الرسل تترى، لتعلمهم مناهج الســـلوك.. وتأخذ بأيديهم إلى الطريق المستقيم!

ولست أدرى إذا عاش كل الناس بيض الصحيفة فلمن يغفر الله الذنوب إذن؟؟

ومن المستحيل أن تمشى فى موكب الحياة الهـــادر، تأخذ من الطبيعة وتعطيها.. ثم لا تخطىء فى العمر مرة!

فيا من تكرهون عباد الله الآثمين ثم لا تعظونهم..

تريد أن نلزمكم كلمة التقوى..

ونكشف عن أبصاركم سحابة الجهل، إعلموا أنكم بفلسفتكم هذه إن ترصفون طريق الاسلام فوق هوة سحيقة.. ستكونون أول المتردين فيها!

محمود محمد عماره